

بوك جبر الادي

ترجمة نقولا فياض



أنا و أنت



مكتبة على بن صالح الرقمية

بول جيرالدي



أنت وأنا

شعر

ترجمة نقولا فياض

1960



كتب اونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

تصدير

قال اللورد بيرون: «من أكبر المصائب على المؤلف أن يترجم إلى لغة أجنبية»؛ ذلك لأنه من المستحيل أن تتفق تراكيب الجمل في مختلف اللغات، والقالب الذي يختاره الكاتب أو الشاعر ليُفرغ فيه معانيه لا يمكن أن يكون واحدًا فيها كلها، وإذا نحن حاولنا أن نترجم ما نريد ترجمته حرفيًا للمحافظة على القالب ما أمكن أسأنا إلى المؤلف من حيث لا ندري، وإلى أنفسنا بما نقع فيه من غرابة التعبير وركاكة الإنشاء.

هذا ما نراه كل يوم في أكثر ما نقرؤه في الكتب والمجلات والجرائد من المقالات العلمية والطبية وسواها التي تبدو أعجمية بألفاظ عربية. فالترجمة الحرفية ليست بالطريقة المثلى لحفظ جمال الأصل أو الوصول إلى أثرها في ذهن القارئ العربي. حسب المترجم أن يتفهم معاني الكاتب ويدخل في إهابه — إذا سُمح لي بهذا التعبير — ثم يجتهد أن يقدم للقارئ قالبًا عربيًا لا ينفر منه ذوقه ولا يأباه سمعه.

إن في الفرنسية أو الإنكليزية أو غيرها مما مثلًا جملاً تفيد من المعاني ما يقتضي له في لغتنا المتوسعة، وبالعكس فقد تجد أن المعنى الذي يحتاج إلى جملتين للتعبير عنه في لغة غريبة تكفيه في اللسان العربي جملة أو كلمة، فيجب أن لا يمنعنا من استعمال هذه الكلمة أو الجملة بعدها عن الأصل ما دامت تؤدي المفهوم وتوصل إلى الغاية.

وإني أورد هنا مثلًا من هذه الترجمة التي لا يسعنا أن نسميها حرفية، وهي مع ذلك أمينة لا تذهب بجمال الأصل ولا تضعف من التأثير الذي أراده المؤلف، فضلًا عن أنها تتجرد من المعجمة ما أمكن فيكاد القارئ لا يشعر أنها منقولة.

يقول لامارتين في مطلع قصيدته «البحيرة» ما ترجمته بالحرف الواحد: وهكذا ونحن مدفوعون دومًا نحو شواطئ جدد، محمولون في الليل الأبدي بلا رجوع، لا نستطيع أبدًا أن نلقي على أوقيانوس الأعمار مرساتنا يومًا؟

وإليك الأصل:

Ainsi toujours poussés vers les nouveaux virages.
Dans la nuit éternelle emportés sans retour.
Ne pourrons nous jamais sur l'Océan des âges.
Jeter l'ancre un seul jour?

مهما نحاول تنميق هذه العبارة فنقدم أو نؤخر فيها مع المحافظة على حرفيتها، فهي لا تسلم من الركافة والعجمة. ولكن إذا اكتفينا بالمعنى واجتهدنا أن نشعر شعور الناظم، ثم حاولنا نظمه كأنه صادر عنّا قلنا مثلاً:

أهكذا أبداً تمضي أمانينا نطوي الحياة وليل الموت يطوينا
تجري بنا سفن الأعمار ماخرة بحر الوجود ولما نلقي مراسينا؟

أنا أعلم أن جملة «تمضي أمانينا» ليست في الأصل، ولكنها تحصل من كلام الشاعر، وهي لا تضعف قوله بل بخلاف ذلك تفسره تفسيراً موافقاً، وفي النظم قد يضطر الناقل إلى مثل هذه الزيادة.

كذلك الشطر الثاني من البيت الأول لا يمكن أن يكون ترجمة حرفية، ولكنه يؤدي المعنى تمام التأدية. ولو افترضنا أن لامارتين بُعث من قبره وسألنا أن نترجم له ما ترجمناه عنه لما وجدنا ما يؤدي معنى هذا الشاعر أحسن من الرجوع إلى عبارته الأصلية. ولو ترجمنا نطوي الحياة ... إلخ، على غير هذه لجاءت الترجمة في لغته ركيكة وغير مفهومة. فالمعنى هنا واحد وإنما القالب يختلف في اللغتين.

ومما يقرب من معنى البيت الثاني قول أبي العلاء المعري في مخاطبة الدنيا:

يموج بحرك والأهواء غالبية لراكبيه فهل للسفن إرساء؟

هكذا أفهم الترجمة، ولا سيما الشعرية، وعليه جريت في كتابة الرسائل العلمية والطبية وغيرها مما كنت أنشره في الصحف والمجلات.

وقد رغب إليّ الصديق أحمد عويدات صاحب «منشورات عويدات» أن أنقل إلى العربية «أنت وأنا»، كأنه أراد أن يعيد إليّ أيام الشباب بترجمة أشعار الشباب. فلم أرَ بُدّاً من انتهاج الطريقة عينها، وما أكتف عن القارئ ما عانيت من الصعوبة فيها، ولا سيما لأنها مكتوبة بلغة بسيطة يساعد عليها أنها هي اللغة التي يُتكلم ويكتب بها في الفرنسية، بينما نحن نتكلم بالعامية وهي تختلف في كل حقل عن سواه، فنضطر أن نكتب بالفصحى وما أبعداها عن الأصل؛ من أجل ذلك كنت أتحيل وأدور فأنقص هنا وأزيد هناك ليستوي التعبير في بساطته وجماله، وهو جهدٌ لا يقل عنه جهد التأليف. على أنني لا أدعي هنا التأليف لئلا أتهم بالسرقة، ولا أقنتع بالقول إنها مترجمة لئلا أرمى بعدم الأمانة في النقل. حسبي أن أكون قد جلوت هذه الحسناء الباريسية في حلة عربية والسلام.

نقولا فياض

كانون الثاني ١٩٥٨م

بوح

أحبك يا مي حتى الجنونُ
أحبك حباً يفوق الظنونُ

فهل تعلمين؟

أحبك ... هذا كلامٌ معادٌ
وما كان يوماً يؤدي المرادُ
ولكن أحبك ... كيف العملُ
أحبك ... والحب غير الغزلُ

فهل تشعرين؟

وهل من سبيلٍ لأن تكشفني
مجاهل نفسي، وأن تعرفني؟
فما في الحروف بيان يفني ...
أفتش، أبحث عن قافية

تغذي الأمل

فليس صحيحاً بأنَّ القُبْلُ

هي الكافية

أحس على الصدر عبئاً ثقيلاً
وكم أتمنى الحديث طويلاً
لأشبع روعي وأروي الغليلاً

* * *

فإن الحياة حياة الكلام
تُفرِّج عن كُرْبَةِ المستهام

أريدُ الكلامَ، أريدُ، أريدُ
وكيفَ أعبر عما أريدُ؟

* * *

ولكن لو انقاد لي خاطري
وجئت بملحمة الشاعر
فهل كان ذلك أغنى لسانا؟
— أجيبني — وهل كان أجلى بياناً؟
من أن أضمك نحو صدري
وأبث في أذنيك سرِّي
وأقول في نشر ولفِّ
وأعيد ألفاً بعد ألفٍ:
يا مي أنتِ مناي، أنتِ
أنتِ

أعصاب

لا تجفلي، لا تبعدي
عني فإني المذنب
غضبي على نفسي ولستُ
عليك يوماً أعضبُ

* * *

ما هذه الكلمات تخرج من فمي
ما هذه الرعدات تنفض في دمي
إلا شظايا من فؤادي المضرَمِ
أنا لا أعاتبُ، لا ألوم
وشكيتي هي من همومي
أن لا أراكِ كما أروم
كالحور ترفل في النعيمِ ...
فدعي الكآبة واصفحي
وانسي الذي رددته ...
إن كنتُ أكره فيكِ
فاللأم الذي سببتهُ

لا تبعدي

كآبة

ماضيكِ! يا لله من عهدِ عَبْرُ
هل كان ماضٍ لم يكن فيه عَبْرُ
كم تحت ذياك الجبين من الهمومِ
وخلف صدرك من ضجرِ
صورٌ تمر، وما بها لي من يدِ
لا الفكر مرَّ بها، ولا مرَّ النظرُ

* * *

خبريني، حدثيني
عن ملاهيك الغوالي
وأعيدي ذكر أيامِ

وخلوات طوال

أي سرِّ خلف عينيكِ

عميق كالليالي؟

هل صحيح؟

كان عهد كنت فيه

ترقصين

في ضياء القمرِ
مثلما أنت بهذي الصور؟

ترفلين

في الشعاعِ

وعلى رأسك شعر كالأفاعي؟
هل صحيح؟ هل صحيح؟

اصدقيني الخبرا

مثل هذا الرسم كنت؟
لا أرى للحسن فيه أثرا؟
لا ليس هذا الرسم أنت

* * *

ذلك العهد الدفين
ما الذين كنت به تقتكرين
أو تقولين به، أو تعملين؟
كيف مرّت بك موجاتُ السنين؟

* * *

إن في الصورة روضاً

لا أرى مدخله

أكيدُ

بابه خلف الطريق؟

وأكيد، هي أنتِ لا سواكِ
هذه الالبنة في الزيِّ العتيق؟

* * *

حولك الزمرّة هذي ... من تكون؟
ذبلت فيها وجوهٌ وعيون؟

* * *

هم أصحابك، قبلي عرفوك
وإلى أعيادهم قد حملوك

فلهم أول نظرة

ولهم أول حسرة

همُ قد قادوا خطاك، حيثما شاء هواك

أو تنسمتِ هواء

فإلى الشاطئِ صبحًا، وإلى الغاب مساءً

هُمُ دَلُّوكِ على كل مكانٍ

فيه سحرٌ وافتتانٌ

* * *

أه، لِمَ كانوا إليك السُّبِقَا؟

لِمَ تأخرتُ عليكِ في اللقاء؟

* * *

كنتُ أدري منهمُ في كل شيء

لو تعرفتِ إليَّ

كنتُ أهديك لأسرار الدروب

في الغروب

وأغني لك أسماء القرى

كاشفًا للأرض وجهًا آخرًا

ساحبًا معك لآفاقٍ بعيدة

ولأمصار جديدة

فتريني الطربا

وأريك العجبا

كنتُ أبدعتُ لكِ ألف سبيلٍ

لتري كل جمالٍ وجميلٍ

ويكون الفضل لي، فضل الدليل ...

* * *

آه لو تدرك هاتيك الزمر
أي كنز سلبتني فيك يا أخت القمر
قضي الأمر! كذا شاء القدر ...
وإذا ما ظل فيما بيننا
بعض خُلف في النظر
فلأني جنّت من بعدهم
فإذا فيك لهم هذا الأثر
ما علينا ... لملمي هذي الصور

السديل

لا تعجبي بسكوتي فقد تدنّى الظلامُ
وساعة الشوق وافت تحدو بها الأحلامُ
ولما يحق لغير العيون فيها الكلامُ
وما أنا غير صبّ به يلجّ الغرامُ
* * *

مدي يدك وشدي
إليّ صدرك شدّا
فاليوم تحتاج نفسي
إلى الدلال لتهدا
* * *

أواه، لو كنتِ هذا المساء تدرين ما بي
من شهوةٍ وحنانٍ وكبرياء عذابي
وطيب قلبي ... ولكن هيهات تدرين ما بي
* * *

خففي النور قليلا
أنزلي هذا السديلا
ذاك أوفى على الهوى إن تشائي
فحديث القلوب رهن المساء
وإذا الظلّ نام في الأشياء
طلع النور في العيون بديلا
إن حبي هذا المساء شديد
ما رواه راوٍ عن العشاقِ
* * *

والذي أشتهيه فتح جديد:
أن تكوني معلمي في العناقِ
مدي يدك وشدي

إِلَيَّ صَدْرِكَ شَدًّا
وَعُنْجِينِي، وَزَيْدِي
كَالْنَحْلِ ثَعْرِي شَهْدَا
* * *

خَفَفِي النُّورَ قَلِيلًا
أَنْزَلِي هَذَا السَّدِيلَا

هَكَذَا!

وَلِيَكُنْ لِلصَّمْتِ فِيْنَا مَا يَكُونُ
حَبْذَا هَذَا السُّكُونُ

فِي حَمَاكِ

وَعَلَى وَجْهِي يَدَاكِ
وَبِرُوحِي مِنْ شَذَاكِ
نَفْحَةَ تَحْكِي لُمَاكِ
* * *

عَجَبًا! مَنْ تَرَاهُ يَقْرَعُ الْبَابَ؟

هُوَ السَّاقِي أَتَاكِ

يَحْمَلُ الْقَهْوَةَ أَقْصَى مَشْتَهَاكِ

حَسَنًا! ضَعَهَا وَعُدْ مِنْ حَيْثُ جِئْتِ

لَا رَجَعْتِ

هَلْ تَرِيدِينَ بَأَنْ تَبْرَدَ شَيْئًا ...

ثُمَّ نَمْسِي بَعْدَ حَيْنٍ؟

لَا؟ إِذَا أَسْكَبُهَا، هَلْ تَسْمَحِينَ؟

هَلْ تَضِيفِينَ إِلَيْهَا السُّكَّرَا؟

كم؟ ولكن هذه العتمة ...

ما عدتُ أرى

أرجعي النور قليلاً

ارفعي هذا السديلاً¹

¹ من سدل الستار أي أنزله، وتستعمل على اليهودج لستر وجه المرأة. وقد وضع العلامة عبد الله العلابي لفظة تفاريج، ولكن وجدنا أن السديل أخف وأسهل.

صدفة

قد كان في الإمكان أن لا نلتقي
هذا المساء هنا، ولا نتصاى
فتصوري الأقدار كم رأفت بنا
يا منيتي، وتصوري الأسباب:
كم فرصة سنحت، وكم صدفة
مرت، وكم حدث رمى فأصابا
حتى تكوّن ما يُسمى حبنا
فيكون أوسع ما يكون رحابا
أتتسين أتا قبيل اللقا
غريبين كئا بهذي الدنا

* * *

وكلُّ يهيم على وجهه
يسير وحيداً بغير هدى
وإن الزمان طويل وهذا
الفضاء الفسيح بعيد المدى
فما كان أسهلها لحظة
لتفريقنا أبداً سرمداً

* * *

أتدريين كم خطر كامن
تصدى لنا في طريق الهوى؟
وكاد أقل الحوادث أن
يُباعدنا ويطيّل النوى؟

* * *

أتدريين أني لأول ما
رأيتك، ما اهتاج لي خاطر؟
ومال فؤادي لمن كان معك

يغازلني لحظها الساجرُ؟
ولكن كفى منك لي نظرة
لأشعر أنني أنا الخاسرُ
وأنت ملءٌ حياتي وما
سواك على مهجتي أمرُ

* * *

أكنَّا هنا اليوم، لو أنه
ترأى لأملك ذلك المساء
بأن ترحلي معها قبلما
يتأخ اللقاء لنا في العشاء؟

* * *

ولم أتجراً بكلتا يدي
فألقي الوشاح على كتفيك
ويُلقي الأشعة في ناظري
احمرارُ الحياء على وجنتيك؟

* * *

أقل الطوارئ لو أفلحت
لصبت عليّ أذى الحادثات
فما كان حبي، وما كان قلبي
وما كنت أنتِ نعيم حياتي

أرواح وأشكال

ما أنتِ بالزوج الأمينِ
لولا جديك كل حينِ
تتجددين كأن وجهك
جبلَةٌ من ألف طينِ
في الشَّعر والنظراتِ
والوجنات والصوت الحنونِ
في كل يوم منك شكل
تبعثين به حنيني
أتقنتِ فنَّ السحر حتى
صار كحلًا في جفوني
فاذا رأيتك كل يوم
لم أجد غير الفتونِ
* * *

أدركتِ أن الحب لا يبقى
على مرِّ السنينِ
فسعيتِ في تخليده
بالغش خدعًا للعيونِ
تتبرجين وترتدين
من الحرائر بالثمينِ
وهناك قبعتك الكبيرة
تستوي فوق الجبينِ
* * *

حتى أحاول تحتها
بحثًا عن السر الكمينِ
هي عادة الأنثى، تفننها

بأنواع الفنون

فإذا شعرتِ بأن حبي

فاتر لم تمهليني

أنشقتني عطرًا يجدد

نشوتي، ويُضِلُّ ديني

* * *

فأقوم نحوكِ في عجلٍ،

بيدي اليسار وباليمين

وأبيتُ أروي بالقلبِ

شفتيَّ من ذاك المعين

* * *

لكن إذا عبثت يداي

بما به تتزينين

أبصرتُ أنك لم تزالِي

بالحقيقة تهزأين

الجسم جسمك ما تغير

والجبين هو الجبين

وأردتُ بالقلبات تعزية

لحاضري الحزين

فوجدتُ أنك أنت امرأتي

وأَمَّكَ تُشبهين ...

بيانو

هذا النشيد نظمت فيه عواظي
وجعلته وقفاً على الأوتارِ
فإذا سمعت له ولم ترضي به
قولي فأنظم دونه أعداري
تقول حبيبي لي: «لم تغارُ
وفي قلبي من الأشواق نارُ
أحبك فوق ما تسع القوافي
بأجرها وما تسع البحارُ
فكيف يخون عهدك يا حبيبي
فؤادي والوفاء له شعارُ

* * *

بحثت فلم أجد في الناس شبيهاً
لشخصك في الذكاء وفي الجمالِ
فأنت ألذهم عندي حديثاً
وأكرم من عرفت من الرجال
وأوسع من رأيت ندى وبأساً
وأقربهم إلى حدِّ الكمالِ
فلا تحسب لهجراني حساباً
ولا تخش القطيعة والتنايِ
وكن في كل حال مطمئناً
فإني لن أحميد عن الوفاءِ
وخل الغيرة العمياء واسلم
فما للداء هذا من دواءِ»

* * *

هذا الذي تقول لي
وإنه الحق الجلي

لكن برأسي فكرة
من خجل أو وجل
هناك بين الناس من
يظهر في المستقبل
يأتي إليها ضاحكًا

مزودًا بالأمل

وذوقها المرهف لا
يأبى سماع الغزل
فما الذي يجري لها
وما الذي يحدث لي؟
لذا تراني شاكيًا من محنتي
أغار والغيرة أصل علتي
هذا الذي نظمته يا فتنتي

تأمل

أعيدي ذكر عهدك لي أعيدي
فلا أخشى المزيدَ من الوعود
وقولي إن حبك لي سيبقى
كما قد كان في الزمن البعيد
وإنك لم تزال لي رفيقا
يدلني على رغم الحسود
وأن الهجر عندك مستحيل
ولو مُحي الغرام من الوجود
أريد بأن أكون على وثوق
بأن هواك للأبد الأبيد
مع ذاك حين يقول لي
ذاك الصديق: دع النحيب
وأرِح فؤادك ما استطعت
فليس حولك ما يُريب
أوما تراها كلها
حبٌّ وإخلاص عجيب
مع ذاك حين يقول لي
هند ... فلي أملٌ يخيب ...

غيرة

أنا والله غيرانُ
كئيب النفس ولهانُ
وأنت بعيدة عني
وبعض البعد نسيانُ
* * *

أنتِ في الريف تمرحين وفكري
كل يوم يطير شوقاً إليك
عندك الأهل، لا يُسليك منهم
أحدٌ، مع ذا أغار عليك
إن روعي سكرى وقد هزها
الوجد فأبكي والضحك في ناظريك
واخضرار الربيع في صفحة
الآفق وفوق الربي وفي عينيك
رسمك الحلو ملء رأسي كأني
لم أزل حالماً على ساعديك
أنتِ ذا اليوم فوق كل جمال
من بعيد أرى سنا مقلتيك
وعلى الرأس قبعة تنفذ
الشمس ابتساماً منها على وجنتيك
جو باريس زاد قلبي ظمأً
مذ حُرمت الرحيق من شفنتيك
لم أكن في الغرام عمري
كما أنا اليوم في صراع
وكم تمنيت في التبايع
بأن تكوني على التبايع
لا تحسبي ذاك كرها

فالكره ما كان من طباعي
لكن صبري على النوى لم
يكن لديّ بمستطاع
أبيت أشكر ولا معين
فلا لساني ولا يراعي
وصرتُ أرجو لضيق صدري
وطول همي وقصر باعي
بأن تبيني، ولو قليلاً
على قليل من الصداع ...

ريب

قلتِ، إني بالفكر في كل حينٍ
معك، قلتُ التفكير بي ليس يُنكرُ
غير أن التفكير كان هزلياً
بي، وبالحب كان فكرك أكبر
وتقولين إن طرفك باك
وعلى جفحك المنام تعذر
أنا أدري بأن قلبك شاك
يتلى، لكنه ليس يسكراً
وإذا ما قبلتني كان حبُّ
التقبيل لا الثغر ما يهكم أكثر

* * *

نتلهي معاً، ولكنَّ بعد اللهو
لا شيء من جديد الأمانى
وإذا الحب كان في كل حال
حاجة النفس، لا ظروف الزمان
أتحبينني إذن، لو تبدلت
عليك وكان غيري مكاني؟

حنوٌ

حدثيني إن الحديث مدامي
لا تكوني بخيلة في الكلام
أحببيني؟ دعي الشغل خلّي
عنك هذا إذًا، تعالي أمامي
اجلسي جانبي هنا، لا تخافي
ليس يؤذي الثياب ضيق المقام
أبعدي هذه الوسائد عنّا
لتظلي جميلة الهنّام
آه لو تعرفين مبلغ حبي
آه لو تسبرين غور هُيامي
انظري، انظري، ألم تتبئك
عيناى عن مدى أحلامي؟
إنني قد وهبت كل حياتي
لك، ما في دمي وما في عظامي

* * *

هل سمعت وهل فهمت؟ أجيبني
إن حبي هذا المساء جنون
كل ما فيه فتنة والتهاب
كل ما فيه رقة وحنين
إن سمعت وإن فهمت فحسبي
منك هذا، وكل صعب يهونُ

* * *

قربي رأسك للنور، دعيني
أضع الكف على هذا الجبين
أهتدي منه إلى السر المصون
إن في عينيك تاريخ فتوني

هل صحيح ذاك، قل لي هل صحيح؟
أي نعم! ما كذبت فيك ظنوني
آه من حبي لك، حبي لك
كم أودُّ اليوم أن أوجعك ...

تهدئة

مر بنا الأمس ولم نفترق
ألا على خلفٍ فماذا الخبر؟
ألم نكن قبلُ اتفقنا على
أن لا يشوب الحب فينا كدر؟
من يا ترى المذنب؟ أنت؟ أنا؟
من يا ترى بلبل منا الفكر؟
الذنبُ ذنب الحبِّ لا غيره
والحب ناهٍ أمرٌ في البشر
ودَعَتِي والصوت مخشوشين
وكنْتُ قاسي القول قاسي النظر
في كبريائي ألم صارخ
والدمع في عينيك مثل الشرر
يا عجبًا ما أن جُمعنا معًا
إلا مشى فيك وفي الضجر
كأننا لسنا على موعدٍ
ولم يكن للحب فينا أثر
أكان من أسباب هذا الجفا
لقاؤنا دومًا بحكم القدر؟
فكان في آمالنا صدمة
وبان من عيوبنا ما استتر ...
وأصبح الإيمان بالحب لا
يجدي، وجاء الشك ثم الحذر
لو يُترك الحبُّ على طبعه
لما ختمناه بهذي العبر ...

* * *

ألا ترين أنه منذ حين

كنا على حبٍ أكيد متين
لم نرض بالحب البسيط ولم
نكن كما يُرجى، من القانعين
نريد أن نهوى كمن لم يكن
مزاجه من طينة العاشقين
فكان في ذلك العذاب لنا
وحلّ فينا الشك بعد اليقين
بالله قولي لي أسهلّ لنا
ما لم يكن سهلاً على الآخرين؟
خيرٌ لنا أن نلتقي ساعة
في اليوم من أن نلتقي كل حينٍ
فنبعد الملل عنا كما
نجدد الشوك ونذكي الحنين
وهكذا ترين عند اللقاء
أنا على نصرٍ وفتح مبينٍ
وأنا في نعمةٍ دونها
كيدُ العدا ونقمة الحاسدين
وإن أشياء لنا لم نُقل
بعدُ، اكتشفناها وراء الجبين
وهكذا ترين أن الهوى
سعادةٌ في ذمة الصابرين
نرشف منها ما يشاء الوفا
من غير أن ينضب ذلك المعينُ
وهكذا ترين يا منيتي
أني على عهدكٍ باقٍ أمين
فجددي زيارتي في غدٍ
وبكرٍ يا أكرم الزائرين

امتحان

تقولين لي قد ضحكت كثيرًا

بليلتك الساهرة

وإن الأسي عالق بفؤادي

لألفاظك الساخرة

أنا لا أزال أحاول كتمًا

لعاطفتي الثائرة

ولكن قلبي حزين وأنت

على حزنه ساهرة

تُسائل عيناك عينيَّ عن

مدى علّتي العابرة

فإن تجديني بلا حسرة

تحسرت أنتِ أيا كافرة

اعتراف

أنا أدري أن امتعاصك مني
لعنادي وغيرتي وفضولي
وعتابي، وحدتي، وشكوكي
وامتناعي عن الرضا بالقليل
أستلذ الجدال معك وإن لم
يكن هذا الجدال يروي غليلي
فلئن يرتدي القساوة حبي
فلأني سبقت في الحب جيلي
كلما زدتُ لهفةً زدتُ عتبا
ثم أمحو العتاب بالتقبيل
ربما كنت أسعد الناس لو كان
غرامي من غير قالٍ وقيلٍ
غير أني ملأت منك حياتي
وجعلتُ الضلال فيك دليلي ...

ورودنا هذي الورود ...

حياة الحب عندك يا حياتي
لماذا تسعدين بها وأشقى؟
تفرقنا الظنون، وبين ما لي
وما لك لا أرى والله فرقا
إذا ما قلتِ «هذا العود عودي
وهذا الورد بين يديك وردي
وهذا الكلبُ كلبُك، والكتاب
الذي لك سوف أقرؤه لوحدي»
فماذا كل هذا القول يجدي؟

* * *

وأسمع منك أحياناً كلاماً
يزيد بحرقه القلب الشجي
«سأشري هذه الأشياء باسمي
وما عزَّ الثِّراء على الغني»
ألا تدرين أن جميع ما لي
وما لك بيننا أبداً مُشاعُ
لماذا تخلقين له فروقاً
أيفرق بين قلبينا متاعُ؟

* * *

إذا أحببتني حقاً فقولي:
كتابٌ ذاك أو كلبٌ وعود
ولكن إن ذكرت الورد قولي

— سلمت —

«ورودنا هذي الورود ...»

قلق

لله من صوتك إذ تضحكين
فيملاً الأجواء منه طنينُ
ومن صدها يتمشى الأذى
مُدوياً في أذن السامعينُ
لأ، لست أَرْضَى لك أن تضحكينُ
وإن أكن أسمح للآخرينُ
فأنتِ في ضحكك جزتِ المدى
فكان بي من اضطرابٍ مبين
أصبحتِ كالظبي الغرير
وملأتِ داركِ بالحبور
وغدوتِ بالطرب الملحِ
تهيمنين على الصدور
لأ شيء يمنع عنك ما
تعطين من فرح ونور
* * *

أنا لا أريدك هكذا
فتخيب في صدري الأمانى
بل دمية بين الدمى
حسناً من دون الحسانِ
ترتاح للتسليم والشكوى

وتزخر بالحنان

أهواك أضعف ما يكون
وأنت صامئة بقربي
كالطفل مذنبَةٌ وأنت
بريئة من كل ذنبِ

فيصاب بالنقصان حبي
لكن يزيد أمان قلبي ...

تفاهم

لأ، لأ، دعي الماضي دعي
لأ ترجعي للأدمع
إن كان لأ بد التفاهم
فالتفاهم مطمعي
ماذا نقول؟ فهل نعود
إلى العتاب الموجه
خيرٌ لنا أن لا نحرك
هاجعات الأضلع
أنا عارف سلفاً بما

تلقينه في مسمعي ...

هذا قميصك فأخلعيه
وجددي الذكرى معي
لغة العناق أذ رواية

وأبلغُ مقنع

وانسي العتاب كما نسيت
وعن صدودك فارجعي

والبي عارية إليّ

فما نبا بك مضجعي ...

تأمل

قال الشاعر العربي:

الحب أول ما يكون مجانية
فإذا تمكن صار شغلاً شاغلاً

وقال شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام
فكلام فموعد فلقاء

وقال الناظم:

الحب أول ما يكون
صدفة واتفاقاً
أو تسلية وانطلاقاً
أو فضولاً واشتياقاً
لموعدٍ في العيون
أو غمز في الجفون
ثم مشاركة في العاطفة
وتبادل في الذوق
ثم كلمات تتمتها الشفاء
تعاد وتكرر على غير انتباه
حتى يبلغ الحب الغاية
وكالبداية تكون النهاية

هزيمة

أمن العدل أن يكون مصيري
ما أقاسي لرقّتي وشعوري؟
كلما مسّني أذاك تمنيتُ
انتقامًا فما أطاع ضميري
أنتِ أقوى على احتمال التناهي
من ضعيفٍ مقيدٍ مهجورٍ
أنا ما زلتُ في هواك قليل
الحظُّ لا أرتضي بغير الكثير
فتويلُ اللقاء غير طويل
وقصير الجفاء غير قصير
فاجعلي عفوك الكريم معيني
واجعلي صبرك الجميل نصيري
ربما كنت في اعترافي مجنوننا
فكوني إذا جُننتُ عذيري
وارفقي بي، ولا يغرنك مني
الضعفُ، حاشاكِ، أنتِ فوق الغرورِ

معرض صور

لا تظني أن هذي الصُورُ
ما يؤاسي النفس أو يُغري النظرُ
هي تاريخٌ لماضيها كما
قلتِ إلا أنه عافي الأثر
والذي أحمل في ذاكرتي
هو أبقى منه معنى وخبر
أبعديها، صورًا عارية
من جمال اللون، من عطر الزهر
من ظلال الأيك في صبح المنى

من حديث الكأس

في نجوى السمر

إن تكن ذاكرتي قد نسيت
بعض أشياء فنسِّي يغتفر
إنها أبقت على حلم الهوى
وملذات الليالي والسحر
كلما ناديتها عادت إلي
خاطري تحمل آياتٍ عُررُ
من هبوب الريح، من رائحة
البحر والأشجار، من ضوء القمر
من رحيق القُبل الحمراء في
منحنى الوادي وأعطاف الشجر
ودموع وابتسامات لها
لذة العفو ومعسول الخفر
ودروب كم تخاصمنا بها

وتصالحنا كما شاء القدر
ومن البيت إلى المعبد في
نزهة ما بين صحو ومطر
وعلى درّاجتينا عقَدَ
الزهرُ في البستان إكليل الظفر
كل أعياد التصابي والرضا
وأغانيها، ورنات الوتر ...
أين هذا العرض منها يا ترى
أين من تذكّارها هذي الصور؟
صور لم تُبق لي مما مضى
ما به أحبي حياتي وأسر
هي نعش درج الماضي به
مثلما يُدرج حيّ في الحُفر
ضاق عنه رحبها حتى غدا
غائبًا عنها وإن فيها حُضْر
أبعديها، حسب أصحابك منها
أن يروها فيقولوا عجباً
أبعدي هذي النواميس التي
حُنطت فيها ملذات الصبا
أبعدي عن ناظري هذا الجماد
من إطار في بياض وسواد
طُمرت فيه مصابيح الهوى
مثما تُظمر نار في الرماد
* * *

لا تقولي تلك الأيام مضت
قد حفظناها بهذي الباقيات
هي في رأسي حلم خالد
لم تتل منه الليالي الخاليات
ذكريات المرء من شِعْر، فلا
تطلبني التاريخ بين الذكريات

تأمل

إِنَّا وَإِنْ كُنَّا رَشْفْنَا مَعًا
كَأْسُ الْهَوَى مَمْرُوجَةٌ بِالْأَلْمِ
لَمْ نَنْفَقْ يَا فَتْنَتِي مَرَّةً
وَإِنْ تَشَابَهْنَا بِلَحْمٍ وَدَمٍ
* * *

يَكْفِي إِذَا مَرَّتْ بِأَفَاقِنَا
سَحَابَةٌ مِنْ جَدَلٍ عَابِرٍ
لِنُفْتِحَ الْهَوَا مَا بَيْنَنَا
وَيَخْطُرُ الْيَأْسُ عَلَى الْخَاطِرِ
فَإِنْ قَصَّرَتْ عَنْ ضَمْنَا

يَوْمًا يَدًّا أَوْ فَمًّا

تَعْقِدُ الْأَمْرَ فَلَمْ تَفْهَمِي
مَنْيَ وَمَا عَدْتُ أَنَا أَفْهَمُ
* * *

لَمْ يَمْتَلِكْنَا الْعَشْقُ لَوْ لَمْ يَكُنْ
لِلْجِنْسِ فِينَا لَفْتَةٌ وَانْفِلَاتُ
وَهَلْ نَمَتْ صِدَاقَةٌ بَيْنَنَا
لَوْ كُنْتَ مِثْلِي رَجُلًا لَا فَتَاةَ

رسالة

فراقك هذُّ طویل المدى
ثلاثین یومًا، تقبل علیّ
یباعد صوتک عن مسمعی
ویحجب نورک عن ناظری
کتبتُ إلیک بأنی علیه
سأصبر حتی یحین اللقاء
وما کنتُ أعلم أن اصطباری
قلیلٌ وأنی کثیر الشقاء
تلاحقنی وحشة لا تطاقُ
فأین حللتُ أراها معی
على الباب، فی الدار، خلف
الریاش، وحول السریر وفی مضجعی

* * *

ألا ما لهذی الحیاة التي
رماها زمانی بشتی العِللُ
فیأتي الصباح ولا من سلام
ویمضي المساء ولا من قُبُل
وأطوي اللیالی علی ذکریات
تُثیر همومی وتذکی الشجونُ
فأشتاق أنفاسک العاطرات
وألثم بالوهم تلك الجفونُ

* * *

فیا لك من ضجر دائم
ویا لك من وحدة یائسة
أرانی وحیدًا، وحیدًا، وما
رفیقی سوى غرفتی العابسة

وأشياءَها الجامدات فلما
يحركها الساعد الناعمُ
ويزعجني كل صوت ولو
أتاني به النغمُ الحالمُ
و«مرتاً» تئن وتشكو لما
ترى من جمودي على المائدة
وكيف يطيبُ الطعامَ لنفسِ
تحنُّ إليكِ ولا فائدة؟
جلُّ همِّي أن ينقضي الشهر هذا
بسلاَم وتنتهي أيامه
أقتل الوقت في الكتابة حتى
جفَّ حبري وعُطِّلت أقلامه
أمسح الطرس لست أعلم ماذا
خط في الطرس خاطري وبناني
فبغير ابتسامة منك أو لحظ
وصوتٍ هل يستقيم بياني؟
ولماذا، إذا أخط وأمحو
كل سطرٍ بألفٍ سطرٍ وسطرٍ؟
رمت فيه إيداع قلبي وفكري
فعصاني في الشرح قلبي وفكري
عبثاً تُكْتَبُ الرسائلُ هذي
فهي لا تُبلِّغ النداء المراداً
وأراها تطيل أيام هجري
لا أراها تقرب الأبصارا
ذاك أن الحديث يعوزه الأخذ
والردُّ رضا أو تحمساً لا عتاباً
وأنا ها هنا أناجي سطوري
لا سميع أو من يرد جواباً

* * *

يا فتاتي وفتنتي وحياتي

هل صحيح

ما جاعني في مقالك؟
هل صحيح بأن فكرك عندي
هل صحيح أنني خطرْتُ ببالك؟
فأنا مُرسلٌ إليك فؤادي
بهومومي ولوعتي وغرامي
وسهادي ووحشتي ودموعي
واشتياقي لضمِّ ذاك القوامِ
وإليك المساء هدهدة الواله
مني، كما تهدهدُ طفلةً
قبلةً ملؤها الحنان، تليها
قبلةً إثرَ قبلةٍ، إثرَ قبلةً

بُعدٌ

لما دنا الموعدُ للهاتفِ
جئتُ بقلبِ هائمٍ واجفِ
وكنتُ قد أفقلتُ بابي كما
يُقلُّ بابُ الهاربِ الخائفِ
أطفأتُ أنوارِي لئلا أرى
طيفاً لغيرِ الحبِ في غرفتي
مستطعاً صوتكِ عليّ به
أفوزُ بالتفريجِ عن كُرْبتي

* * *

ورنَّ صوتُ الجرسِ المنتظرُ
فأجفلَ القلبُ وزاغَ البصرُ
وخلتُ حيناً أن صدري انْفَطَرُ
وبتُّ أصغي بإشفاقٍ إلى
ما ينثرُ الدر على مسمعي
وصوتكِ العذبِ الذي شاقني
مذ غابَ عن أذني ولم يرجعِ
لكنه كان بعيدَ المدى
فعدتُ لا أفهمُ أو لا أعي

* * *

وكنتُ أرجو أن يُعيدَ لنا
حديثكِ العذبُ زمانَ الهوى
وأن أرى وجهكِ يحنو على
وجهي ومن ثغركِ ثغري ارتوى
فخابَ ظني، إنني لم أزل
في ظلمتي عبداً لظلمِ النوى
كأنما صوتكِ جابَ الدُّنا

وطاف في الأرض وخاض القفارُ
وطار فوق الغاب، فوق الربي
فوق الجبال الشمّ، فوق البحارُ
حتى أتاني لاهنًا مُتعبًا
مقطع الأوصال بادي العثارُ
وكنتُ من قبلُ بعيدًا إلى
حدّ، فزاد البُعدَ هذا الفشلُ
وعادت الوحشة في خاطري
تقرب اليأس وتُقصي الأملُ

شجار

أخطأتِ، أخطأتِ، وهذا الذي
أعيده مكرراً كل حين
أخطأتِ، أخطأتِ وأنت بما
فعلتِ أدري، وبما تفعلين
أخطأتِ ... لكن ما السبيل إلى
ردِّك عن هذا الضلال المبين؟
فأنت لا تأتين إلّا بما
يدور في الرأس ولا تحسبين
* * *

ماذا؟ أتبكين؟ علام البُكا؟
ما أسهل الدمع الذي تذرفين
خذي، اشربي الشاي، كفى ما بدا
منا، وهذا الجدل لو تعقلين
خذي، اشربي الشاي، خذي واجعلي
حديثنا شيئاً به تفرحين
كفى! وإلّا فأنا راحلٌ

إن كنتِ عن غيبكِ لا ترجعين
تبكين؟ ماذا قلتُ؟ أخطأتِ ... لا
حاشاكِ، حاشاكِ، فما تخطئين
أنا الذي أخطأ، والذنب يا
فاتتني ذنبي فهل تغفرين؟
والآن لا تبكي ... أجل إنني
أهواكِ أهواكِ فلمْ تسألين؟
ماذا؟ أتشكين الأذى من يدي
شُلت يدٌ من جورها تشكين

قومي إليّ، قبليني إذا
ولنترك الشحاء للآخرين
قومي إليّ وابسمي مثلما
عودتني فالفجر إذ تبسمين
لا تحردي، ما كنت جبارة
يومًا وما كنت من الحاقدين
خذي، اشربي الشاي ولا تذكرني
إلا هوى قلبي الوفي الأمين
وكفكفي دمعك يا منيتي
رفقًا بعينيك وهذا الجبين
مهما علا صوتي فإني كما
ترينني من أطوع العاشقين

خاتمة المطاف

أزف الوداع وقد تهيأ
كل شيء للرحيل
فخذي سبيلك حيث شئت
ولا ضللت عن السبيل
لم يبقَ عندي ما أقولُ
وليس عندك ما يُقال
نضبت مواردنا ودبَّ
اليأس فينا والمال
* * *

لكن ... قفي وتمهلي
مهما يكن هذا السفرُ
فالغيم في كبد السماء
غداً يهدد بالمطرُ
وضعي مُلاءتك التي
أهديتها فالبرد قاس
إن كنت ناسية هنا
شيئاً فإني غير ناس
أرجعتُ رسمك والرسائل
كلها صارت لديك
لا تحملي أسفاً عليَّ
وخففي أسفي عليك
وإذا نظرت إليَّ آخر
نظرة فدعي البكاء
يكفي الذي نلقاه في
هذي الدقيقة من شقاء
بالأمس كنا العاشقين

فهل يصدق ذلك عنا؟
أقوت مغائنا وفرق
بيننا دهر تجنى
إنّا نقاسمنا الحياة
ولم نكن بالحب نشقى
واليوم كل يسترد
حياته أو ما تبقى
لا بد أن نشكو وأن
نبكي وأن نتحسرا
لكن في النسيان
تعزية لنا وتصبرا
ولقد أمرُّ على الطريق
فألتقي بك في طريقي
لا مطرُق طرفي لديك
ولا فؤادي في خفوق
ويحدث الأصحاب عنك
وقد مضى الزمن الطويل
فأقول ما هو حالها
هل بعدنا قال وقيل
تلك التي أحببتها
حباً أردتُ به الخلودُ
فإذا به حلم من
الأحلام مر ولن يعودُ
يا رب ما هذي الحياة
أهكذا الدنيا تكون؟
والحب، هذا الحب، ما معناه
حلمٌ أم جنونُ
كنا به متحصّنين
فما أفادتنا الحصونُ
عشق الورى قبلي ومن
بعدي سيوجد عاشقون

* * *

لكن ذا السيلُ الذي
لم ينقطع ... هل تتظرين؟
لا لست أَرْضِي أن تغَيبي
هكذا ... لا تقدرين
ابقي إذًا، ابقي ... نعم
ابقي فهذا ممكُنُ
سنعالج الخطب المفاجئُ
بالتي هي أحسنُ
ابقي، فإن القلب مهما أعرضا
أبدًا يحن لما مضى
والنفس ما عاداتها
أن تستكين إلى الرضا
ابقي، فقد رسم القدر
هذا البقاء لحكمة
فنعودُ، أنت إلى الضجر
وأنا لسابق وحدثي

جدول المحتويات

تصدير
بوح
أعصاب
كآبة
السديل
صدفة
أرواح وأشكال
بيانو
تأمل
غيرة
ريب
حنو
تهدئة
امتحان
اعتراف
ورودنا هذي الورود ...
قلق
تفاهم
تأمل
هزيمة
معرض صور
تأمل
رسالة
بُعد
شجار
خاتمة المطاف